بل ارادوا أن يميتوا نفوذ البلاء شيئاً فشيئاً ، ليستبدلوا ذلك النظام بنظام يتفق وحرية الفرد والمجتمع ، فجعلوا كل فرد يشعر أن القوة لا تلد حقاً ولا واجباً ، وأن لا واجب على الانسان غير القوى المشروعة التي تصون حقوق الفرد، كما تصون حقوق الجماعة ، وقربوا ذلك الى ادراك الافراد: بأن كل قوة تفوق القوة الاولى يجب أن تلد حقاً فوق الحق الأول ، وواجباً فوق الواجب الاول ، واذا ولد أفيل يبقى معنى للحق والواجب اللذين تلاشيا عندما ضعفت القوى التي كانت تحميهما ؟ واذا كانت الطاعة قسراً ، فما هي موضوعية الحق والواجب ؟ ، فاذا طمع قاطع طريق في دراهم انسان ، وباغته في غير مأمنه ، واشهر عليه آلة جارحة طالباً منه دراهمه ، فهو مضطر الى إعطائها الى قاطع الطريق، ولكن هل يجب عليه اعطاؤها اياه ، اذا كان باستطاعته اخفاؤها ، وذهاب القاطع عنه ؟ ، وهل الآلة الجارحة بما إنها قوة اولدت حقاً وواجباً ؟ .

وبعد هذا التقريب المبني على البرهان المنطقي ، اثبتوا ان القوة المشروعة التي تصير الضعيف في أمن حصين من غائلة القوى هي التي تلد واجباً ، يتحتم القيام به حسبما تشرع ، تلك القوة له من الأنظمة والقوانين التي تتفق والحياة الأنسانية ، وتماشي روح العصر ولما كانت طبيعة أي بلاد لها شأن في تكييف طباع الشعب، وكانت النفوس آهلة لأن ينشأ فيها حب الوطن واستحكاماته جاهزة من غريزة حب الذات فالبقاء ، ومن عصبية الفرد لشخصه فبلاده ، نشأ ذلك نشأة قوية ، لدقة شعوره بأن الانسان اذا لم يكن له وطن يعتز به ، لا يستطيع أن يبني له مجداً ، يكون له التقدم به على من عداه ، واصدق صورة الى ذلك العرب واليونان ، وقد سجل التأريخ شدة تأثر العرب بوطنهم ؛ وكثيراً ما ترى العربي يحن الى الدمن ويبكي على الاطلال والربوع ، وما ذلك الا لشدة شغفه ببلاده وحبه الى وطنه .

وأما اليونان فلم يكونوا امة واحدة تشرف عليها حكومة واحدة ، بل كانت كل مدينة حكومة مستقلة تحكم نفسها بنفسها ؛ فكان هذا التقسيم داعياً الى التنافر والمناكرة ، فولد فيهم شعور المنافسة ، وتمكن من قلوبهم حب الوطن ، فكان حب الوطن غريزة ثانية يتمشى الى جنب غريزة حب الذات غير أنها تختلف قوة وضعفاً ، فالشعب الحي تقوى فيه تلك الغريزة وتأخذ محلها السامي من قلبه ، والمنحط نوازيه في الانحطاط

وطن غرق

كان للفيضان الذي غمر مدينة البصره الفيحاء له أعظم الأثر في نفوس كافة العراقيين فقد اصيب البصريين باضرار لا تكاد تقدر ، وكلمة سعادة العين الشيخ عبد القادر باش أعيان الذي استقاها منه مندوب جريدة الزمان صور فيها الوضع والخسائر التي قدرت بعشرة ملايين دينار ، والمشاهد لابناء الريف ساعة أن يدخل البصرة تهيمن عليه حالة توصله الى تصعيد الانفاس ؛ ومن الذين تأثروا الاستاذ الخطيب السيد علي الهاشمي فأرخ الفيضان واليك التأريخ :

عم العراق وأهله طغيان ماء مندفق
والناس مما نابها باتت جميعاً في أرق
كل ينادي كان لي تأريخه (وطن غرق)

١٣٦٥ هـ